

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

قسم التاريخ

المستوى: السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث

الدكتور: قويدر عاشور

ملخص محاضرات:

- مقياس: العلاقات الجزائرية المغربية والمشرقية

- المحاضرة رقم 01

علاقات الجزائر العثمانية بالمغرب الأقصى

مقدمة :

إن قدوم العثمانيين إلى بلاد المغرب جاء من أجل غاية دينية نبيلة هي رفع راية الجهاد بغية طرد الاسبان من الثغور إلي احتلوها في الجزائر وطرابلس وتونس ، وطرده البرتغاليين من الثغور المغربية المطلة على الضفتين المتوسطية (مدينة سبتة) و الاطلسية ، وفي الوقت نفسه تقديم المساعدة للأندلسيين الفارين من قهر محاكم التفتيش الاسبانية.

بدأت العلاقات العثمانية المغربية مباشرة مع دخول العثمانيين إلى الشمال الإفريقي و الحوض الغربي للمتوسط" وذلك بقدوم الاخوة بريروس والحاق الجزائر بالسلطة العثمانية عام 1519م. وقد اكتست هذه العلاقات أهمية كبرى باعتبار أن المغرب ظل البلد الوحيد من بلدان العالم الإسلامي الذي امتنع عن الخضوع للدولة العثمانية ، لذا طبعت العلاقة بشكل عام بالصراع الذي تعود أسبابه الحقيقية إلى صراع على النفوذ وأحقية الزعامة على العالم العربي والإسلامي في المقام الأول، حيث سيطر العثمانيون على جل بلدان الوطن العربي منذ مطلع القرن 16م وخلال الفترات اللاحقة ، بل وامتد نفوذهم إلى أوروبا بعد فتح القسطنطينية عام 1453م .

وخلال الفترة الحديثة طبع المغرب الأقصى بمشهد تغير الأسر الحاكمة فيه (الوطاسية -السعدية -العلوية) ، ولذلك كانت تتغير معها أيضا المواقف والعلاقات بعثمانيّ الجزائر .

1- مع الدولة الوطاسية

خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر عايش الوطاسيون الصراع المريني البرتغالي بحكم أنهم كانوا حجابا في البيت المريني فاكتسبوا خبرة وتجربة ساعدتهم حين قيام دولتهم عام 1471م ، فلم ينشغل الوطاسيون بمد نفوذهم على كل أراض المغرب الأقصى بل فضلوا الجهاد ضد البرتغاليين . وقد اعترفوا بالسلطة الرمزية للخليفة العثماني على بلاد المغرب ؛ حيث نقشوا اسمه على السكة ، ودعوا له في خطبة الجمعة .

أما في الجزائر فقد اتخذ الاخوة بربروس مدينة الجزائر قاعدة لمد نفوذ السلطة العثمانية عبر مختلف أنحاء البلاد الجزائرية، حيث انطلق منها عروج بحملة عسكرية عام 1518م باتجاه مدينة تلمسان، وما إن وصلها حتى فر أميرها أبو حمو الثالث الزياني هاربا طالبا النجدة من الوطاسيين فلم ينلها فحول وجهته إلى الإسبان الذين لبوا مطلبه وبادروا بالهجوم على ناحية تلمسان، و بينما كان عروج ينتظر المساعدة من الأمير الوطاسي أبا عبدالله الوطاسي (محمد البرتغالي) ضد الاسبان تنفيذا لاتفاق عقد بينهما ولكن تأخر نصره الوطاسيين له، وأثناء ذلك باغتته قوات كبيرة من الاسبان زاحفة على تلمسان وتمكنوا من مطاردته منها (عروج) ولاحقه حتى استشهد.

وعن مدى حقيقة المساعدة العسكرية الوطاسية لعروج وهي ما أكد عليها الأستاذ توفيق المدني قائلا : " .. ولما انتهى كل ذلك اوى عروج وبقية رجاله الى قلعة المشور فتحصنوا بها منتظرين مددا ... وان الملك المريني(الوطاسي) قد ارسل فعلا جيش لنصرة عروج ... لكن ذلك الجيش سار على طريق مليلية فطال به السير ولم يتمكن من الوصول الى ميدان المعركة في الوقت اللازم".

وعلى اثر وفاة السلطان الزياني أبو حمو الثالث نشب صراع بين ولديه (محمد عبدالله الثاني - وابو سرحان المسعود) على العرش فتدخل خير الدين وبمساعدة من الوطاسيين الذين أمدوه بالمال والسلاح لصالح أبو سرحان، وبعد فشل حملة شارلكان على الجزائر 1541م أرسل حسن آغا برسالة إلى سلطان فاس أبو العباس الوطاسي في 5جانفي 1542م قد تكون ردا على رسالة من الثاني وهي ذات دلالة على التضامن والتعاون بين الطرفين لرد العدوان الاسباني كما تجلت أيضا بالسماح للسفن الجزائرية الدخول إلى ميناء تيطوان للتزود بما تحتاجه من مؤونة وذخيرة وغيرها .

وحينما بدأت ملامح دولة السعديين في التمكن بقيادة محمد الشيخ الذي زحف على فاس عام 1541م وحاصرها مدة اربعة شهرا حتى اشتكى الناس من شدة ماهم فيه ، ورأفة برعيته خرج السلطان الوطاسي ابو العباس الى مقابلة السلطان السعدي طالبا منه الامان للناس مقابل تسليم فاس له ، فأمنه

هذا الأخير وما لبث أن غدر به وقتله وحاشيته بالسلم بمدينة مراكش ولم يسلم إلا واحدا من أبنائه الذي كان قبل الحصار خارج مدينة فاس وهو الأمير أبا حسون.

ولما بلغه مقتل أبيه انتفض الأمير الوطاسي (أبا حسون) لينتقم لأبيه ويسترجع ملكه، فتقدم بطلب المساعدة من ملك اسبانيا (شارلكان 1516-1556) لكن هذا الأخير رفض بأن يعينه بالجند فأعطاه المال وأشار عليه بطلب العون من حاكم الجزائر البيلرباي صالح راييس، قائلا: "وأنت يا سلطان اسمع ما أقوله لك ورأيي عليك سعيد وتديبري لك مفيد... يا سلطان إن اعطيتك جيش النصراري لم يبق لك في المغرب ناصح ولا في المسلمين حبيب فتجتمع كلمة المسلمين عليك....إنما يليق بك أن تذهب الى الجزائر وتُنعم لهم بالمال وتخرج محلة الترك".

وكان ملك اسبانيا يقصد من هذه المشورة أن يورط العثمانيين في حرب ضد السعديين، وقد نجح في ذلك، ومن ثم انطلق الأمير الوطاسي الى ملك البرتغال (جواو الثالث 1521-1557) الذي أمده بسفن حربية تمكنه من تحقيق غايته لكنه وقع أسيرا من طرف الأسطول الجزائري بالقرب من حجر بادس، فقص عليهم أحداث حصار فاس وغدر الشيخ السعدي بأبيه.

تأثر صالح راييس كثيرا بالحادثة ووافق على طلبه دون تردد شريطة الاعتراف بالتبعية للسلطان العثماني، فجهز صالح الريس 22 سفينة و8 آلاف مقاتل وانضمت إليه فرق من المغاربة تحت قيادة أبا حسون، وهذه الحملة مكنت الأتراك على إثرها من دخول فاس في 8 جانفي 1554م وتنصيب أبا حسون سلطانا واجبر السلطان السعدي محمد الشيخ بالانسحاب إلى مراكش وبقي يتربص عودة الأتراك إلى الجزائر فاستتفر قبائل السوس وأعاد الزحف مرة ثانية على مدينة فاس وظفر بالأمير الوطاسي أبا حسون وقتله في 24 شوال 961هـ / 1554م، ولم يسلم من القتل حتى الفقيهين أبا محمد عبدالوهاب الزقاق وأبي علي حرزوز، وبمقتل هذا الأمير ينتهي بذلك عهد الدولة الوطاسية بالمغرب الأقصى عام 1554م، وليبدأ مسار دولة ناشئة ألا وهي الدولة السعدية.